Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وربما كان كثير من الناس في هذه الفترة من الزمن قد كتبوا ما يمكن أن يسمى المجاز أو البديع . إلا أن فكرة إعجاز القرآن كانت قد ظهرت وأخذت تلفت الأنظار . وهنالك دفعت الغيرة هؤلاء الذين نصبوا من أنفسهم جبهة دفاع عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن يذودوا عنه الشبه ، ويردوا عنه الباطل. فكتبوا الكتابات المختلفة التي أرادوا بها أن يقولوا للناس إن من تحدثه نفسه بالنيل من القرآن سوف لايكون شأنه من الحمق والجهل إلا شأن ناطح الصخرة ليوهنها . وكان أبرز هؤلاء الذين دافعوا دفاعهم الذي لفت جيد الزمن ، وملأ أسماع الأجيال ذلك الرجل الذي أراد أن يعرف الناس معنى الاعجاز على بصيرة ، ليكون إيمانهم به عقيدة راسخة ، وهو عبد القاهر الجرجاني في كتابيه « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » . إلا أن هذه الكتابة التي اهتم بها هذا الرجل وقلده فيها جماعة ساروا على دربه كان جل همها أن تربي الملكة الأدبية والذوق البياني ليستطيع من يتوفر له أن يطرب إلى حد ما للروعة التي يخلقها في نفسه هذا البيان الإلهي الذي يجده في كتابه ، دون أن يقف على حقيقة الأسباب والعلل .

ولما كانت نظرية العلم بالتعلم ، والفقه بالتفقه تأخذ بتلابيب البشرية منذ نشأتها ، وبخاصة بعد ضعف الملكة ، وفساد اللسان ، وطغيان العجمة ، كان لابد من ضبط القواعد ، ورسم القوانين ، وذكر الطرق التي يسلكها الساري في الليل المظلم . ولذلك فإن السكاكي حينما ألف كتابه « مفتاح العلوم » واحتوى فيما احتواه علوم البلاغة وجد إقبالا لا نظير له من الدراسة والبحث والجدل والمناقشة ، والشرح والإيضاح . والسبب في ذلك يرجع إلى أن الرصيد الموجود في ذلك الوقت من الكتب قبل السكاكي كان مزيجاً من المعاني والبيان والبديع غير متميز فيه علم منها عن الآخر . فلا يعرف القارىء ما هي معالم المعاني من غيره من تلك العلوم . وفي كتاب المفتاح تحدد بوضوح ما يمكن أن يكون مطابقة لمقتضى الحال الذي هو علم المعاني ، مما يمكن أن